دور بعض أفراد أسرة بن قانة في الثورة التحريرية من خلال الوثائق الأرشيفية والشهادات 1956–1959

د. ليلى تيتة

جامعة باتنة1 – الجزائر

leila.faycal@yahoo.fr

تاريخ الاستلام : 2019/04/15 ؛ تاريخ المراجعة : 2019/05/20 ؛ تاريخ القبول : 2019/08/05

الملخص:

تهدف هذه الدراسة للحديث عن دور محمد بالحاج بن قانة (حمة) وأحمد باي بن قانة في الثورة التحريرية من خلال وثائق أرشيفية حصلنا عليها من أرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفانس، وشهادات وردت في محاضر استنطاق لم تعد خفية على العام والخاص بعد نشرها على مواقع التواصل الإجتماعي وكذا شهادات وردت في بعض المذكرات الشخصية لمن كان لهم دور في الثورة التحريرية حاولنا جمعها فكانت هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: بن قانة، أحمد باي، محمد بالحاج، الثورة الجزائرية، الإسهامات.

Résumé :

Cette étude vise à parler du rôle de Mohamed Belhaj Ben Gana (Hamma) et d'Ahmed Bey Ben Gana dans la révolution algérienne à travers des documents d'archives provenant des archives d'Outre mer à Aix en Provence, quelques procès verbaux édités sur internet et des témoignages écrits dans certains mémoires personnels de ceux qui ont joué un rôle dans la période et la place consacrée à cette étude.

Mots clés : Ben Gana, Mohamed Belhaj, Ahmed Bey, Révolution algérienne, Participation.

مقدمة:

بإلقاء القبض على المحافظ السياسي للقسمة 22 بسكرة الناحية 2 المنطقة 3 من الولاية الأولى في 27 ديسمبر 1957 بالحاجب بمنطقة طولقة من طرف فوج المظليين الأجانب REP، قدم الأخير معلومات حول الخلية الخامسة التي شكلت ببسكرة في نوفمبر 1957 وقدم أيضا معلومات حول خلايا كل من ليشانة وطولقة من القسمة 23 ونشاطها والتي كان من بين منخرطيها: الأخوين بن قانة محمد بالحاج المعروف بحمة وأحمد باي. مباشرة بعد ذلك، باشرت المصالح القضائية الفرنسية وأجهزة المصالح الإدارية المتخصصة بطولقة سلسلة من التحريات أثبتت "تورط" هاتين الشخصيتين في ذلك الى جانب شخصيات أخرى من طولقة وخارجها. بعدها وفي 31 ديسمبر 1957 تم إلقاء القبض على توبة محمد السكرتير الخاص لبن قانة حمة بالمطار من طرف الشرطة القضائية، وفي بداية جانفي 1958 على عبد الرحمان عثماني رئيس وقاضي التنظيم السياسي الإداري لطولقة منذ 1956 ورئيس الزاوية العثمانية هناك، بن عبد الحليم مقدم مسؤول المال لأول خلية تنظيم سياسي إداري للثورة بطولقة منذ 1956 وكذا الطاهر عثماني المسؤول الثاني عن هذه الخلية منذ جويلية 1957 إضافة الى شخصيات عدة من المنطقة ((Deltcheff,O.1959 :01(a). جمعت

شهاداتهم رفقة شهادة المحافظ السياسي للقسمة 22 فكانت الإعترافات التي استنبطنا منها هذه المعلومات خاصة حول الأخوين بن قانة حمة وأحمد في الثورة التحريرية على اعتبار أن دور الشخصيات الأخرى قد كان موضوعا لمقال آخر.

يطرح هذا الموضوع اشكالية كبيرة تدور حول مدى مساهمة الأخوين فعلا في الثورة التحريرية ومدى علاقتهما بالسلطات الإستعمارية الفرنسية، وإن كان هذا الموضوع يهدف بالأساس الى محاولة توضيح فكرة أنه رغم الخدمات الجليلة التي قدمتها عائلة بن قانة للسلطات الإستعمارية الفرنسية بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر والى سنوات متقدمة من القرن العشرين إلا أن الأخوين بن قانة حمة وبن قانة أحمد يعدان ربما مثالا للشجرة الفاسدة التي يمكن أن تنبت من أغصانها زهرا ثم ثمارا ناضجة إلا أن الدليل المتوفر لدينا هو سلسلة من التقارير حول استجوابات تمت إبان فترة الثورة التحريرية لأشخاص نشطوا ضمن خلايا الزيبان وكذلك شهادات حية لرواة من المنطقة منهم من لا يزال على قيد الحياة ومنهم من وافته المنية فكانت المعلومات مستقاة من أفواه خلفهم، دون أن ننسى الإشارة إلى اعتمادنا على وثائق نشرت لمحضر استنطاق ياسف سعدي وهي وثائق منشورة على الشبكة العنكبوتية تفيد بمشاركة هؤلاء في الثورة فعلا. فلو كانت المعلومات المقدمة خاطئة فلماذا لم يكذب صاحبها ما ورد فيها خاصة وأنه لا يزال الى اليوم على قيد الحياة. قد تظهر في المستقبل شهادات أخرى تؤكد أو تنفي ما جاء غير أم ما ذكر هو ما استطعنا التوصل إليه.

1- عائلة بن قانة: الأصل والنشأة

تنحدر عائلة بن قانة حسب أغلب الظن من أصول بربرية. قدمت من القبائل الكبرى واستقرت ناحية قسنطينة منذ ما يقارب مائة وخمسين سنة قبل الغزو الفرنسي للجزائر، غير أن أفراد هذه العائلة يدعون النسب الشريف (هواري،م.2009: 14). بنواحي قسنطينة، مارس هؤلاء نفوذا دينيا على الجزائريين الذين احتضنوهم واتبعوهم على اعتبار نسبهم الشريف. بعد ذلك، تخلت هذه العائلة عن دورها الديني وانتقلت الى لعب دور قيادة بعض القبائل(R.I.C.1958 :01). ولعل شهرة بن قانة قد ترسخت بصحراء الجنوب القسنطيني بفضل علاقة المصاهرة بين بيت بن قانة وبيت بوعكاز عندما تزوجت امباركة بنت محمد بن قانة من ابن شيخ العرب علي بوعكاز. وهكذا كانت الفرصة متاحة لمحمد لزيارة الصحراء وربط علاقات مع سكانها. وقد استغلت أسرة بن قانة نفوذها لدى بايات قسنطينة في مساعدة فرحات بن جلاب على أن يكون شبه سلطان على تقرت، وتطورت العلاقات بين العائلتين عندما تولى الحكم على تقرت حفيد الحاج بن قانة والمسمى علي بلقيدوم بن علي بلقيدوم بن قانة خلفا لابراهيم بن جلاب بعد وفاته. وأخيرا نالت أسرة بن قانة لقب مشيخة العرب بصفة نهائية مع تولي الحاج أحمد منصب الباي على بايلك قسنطينة سنة 1826 على اعتبار أن محمد بن قانة كان ابن خال للحاج أحمد باي. وهكذا استطاعت عائلة بن قانة أن تنتزع مكانة مرموقة في مجال السلطة بفضل علاقات المصاهرة مع العائلات الكبرى كما كان لثرائها دور مهم في كسب الصفوف(هواري،م. 2009: 16).

مع بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر، بذلت عائلة بن قانة جهودا معتبرة خدمة للإدارة الإستعمارية ومشروعها التوسعي. فقد ساعدها بولعزير بولخراص بن قانة في إضعاف المقاومة بمنطقة الجنوب القسنطيني عندما حارب غريمه فرحات بن سعيد خليفة الأمير عبد القادر أولا ثم ساعدها في قتله وكذا لحسن بن عزوز عندما ألحق به هزيمة واد سالون في 24 مارس 1840، ثم أقدم في نهاية هذه المعركة على قطع خمسمائة زوج من آذان القتلى ثم أرسلها الى الجنرال قالبوا احتفاءا بالنصر (هواري،م.2009: 74).

بوفاة بولعزير بولخراص بن قانة شيخ العرب في 1861، لم تر السلطات الفرنسية ضرورة بأن تمنح اسم شيخ العرب لشخصية أخرى من نفس العائلة على اعتبار أن المهمة التي كانت تنجزها فرنسا وتقتضي ذلك انتهت. تولى بعدها سي محمد الصغير بن قانة رئاسة العائلة ومنصب القايد على بسكرة والزيبان، ثم إبنه أمحمد بن محمد الصغير بن قانة الذي أخذ لقب باشاغا الزيبان ثم بوعزيز بن

أحمد بن محمد الصغير بن قانة سنة 1914 الذي لقب آغا ثم باشاغا على الزيبان. ومن أجل مكافئة هذا الأخير على خدماته الجليلة للسلطات الإستعمارية الفرنسية، منحته الحكومة العامة سنة 1914 لقب شيخ العرب الذي لم تمنحه لغير جده قبل هذه الفترة. بوفاته سنة 1945، ترك شيخ العرب بوعزيز بن امحمد بن قانة ثروة عقارية تقدر بأكثر من 250 مليون فرنك، وهي التركة التي تقاسمها أبناءه التسعة وبناته الثمانية سنة 1949 (R.I.C,1958 :01) .

لقد توفي بوعزيز بن امحمد إذا بعدما أنجب سبعة عشر ولدا وبنتا من زوجتين، أولى هي مصرالي عائشة وثانية هي امباركة بنت العربي (Mourrui,C.1959 :01)، وقد كان ذلك على النحو التالي:

من مصرالي عائشة ومن الذكور نذكر :

– بن قانة محمد بالحاج الملقب حمة، ولد ببسكرة في 21 ديسمبر 1914، وقد أصبح رئيسا للعائلة بوفاة الأب، تزوج من بن سماية جولة سنة 1938 من العاصمة، وقد أنجب ثلاثة أبناء واتخذ من الأبيار مستقرا له ((Prione,M.1958:02(a). وسنعود لهذه الشخصية بنوع من التفصيل فيما بعد.

– عز الدين المولود في 30 أفريل 1917 ببسكرة. تزوج من فارسات جينات Farcette Ginette سنة 1949، كان مالكا لمزارع ومصانع للقطن بمنطقة فيليب فيل (سكيكدة) ثم انتقل الى الأبيار ومنها الى باريس ليستقر هناك (R.I.C,1958 :01). انتخب في الفترة من 1947–1953 رئيسا لجماعة طولقة (بسكرة) غير أن ما ميز نشاطه هو إهماله لمجلس الدوار وللجنة البلدية للبلدية المختلطة. وعلى هذا الأساس، لم يسجل اسمه في القائمة الإنتخابية لانتخابات أفريل 1953، كما لم يكن له أي تأثير يذكر بمنطقة طولقة (Mourrui,C.1959 :03).

– بن قانة باي أحمد المولود في 01 فيفري 1919 ببسكرة، تزوج وأنجب إبنان وقد اتخذ من الأبيار بالعاصمة مستقرا له (R.I.C,1958 :01). وسنعود لهذه الشخصية أيضا بنوع من التفصيل.

– بن قانة محمد سليم المولود في 07 جانفي 1924 ببسكرة، تزوج بقيو جينات Guillou Ginette وقد أنجبت له أربعة أولاد. تحصل على شهادة في الحقوق وقد اتخذ من باريس مستقرا له (R.I.C,1958 :01).

أما من الإناث فقد أنجبت عائشة: مريم، بشرة زوجة سي فرحات بو عبد الله، ربيحة زوجة سي حسان الذي أصبح موظفا بالإذاعة بالعاصمة، فضيلة زوجة شكال التي استقرت هي الأخرى وزوجها بالأبيار بالعاصمة(Mourrui,C.1959 :01) .

من امباركة بنت العربي، أنجبت له من الذكور:

– أحمد بولخراص الملقب قاسم في 27 أكتوبر 1918 ببسكرة (R.I.C,1958 :01). ورث هذا الأخير سنة 1949 جزءا من ميراث والده. تدهورت وضعيته المالية بعد ذلك لتعرف نوعا من التحسن بداية من سنة 1953. رغم المناصرة التي كانت له من الجزائريين والمستوطنين، لم يطرق هذا الأخير باب السياسة إلا سنة 1954 بمنطقة الجنوب أين حاول الحصول على منصب يخصها خلفا لأخيه سليم دون جدوى (Mourrui,C.1959 :01).

– ناصر الدين في 25 أوت 1921 بواد العثمانية، قطن العاصمة وقد تمتع بجاه وثروة كبيرين(R.I.C,1958 :01). أقحم نفسه في الإنتخابات البلدية لخلافة أخيه أحمد باي في الغرفة الثانية بمجلس العمالة في26 أفريل 1953، غير أن نتائج الإنتخابات ألغيت فيما بعد (Mourrui,C.1959 :01) .

– بن قانة لحسن في 06 ديسمبر 1931 ببسكرة. وقد أقام بباريس عند أخيه أحمد بولخراص (R.I.C,1958 :01).

- بن قانة حسين توأم لحسن في 06 ديسمبر 1931 ببسكرة. وقد استقر هو الآخر بفرنسا (R.I.C,1958 :01).
- بن قانة فاروق حوالي سنة 1942 وقد استقر بمرسيليا(R.I.C,1958 :01).

أما من الإناث فقد كان له منها: تراكي ورفيعة ومامة(Mourrui,C.1959 :01) .

من كل هؤلاء، تقر السلطات الإستعمارية ببروز ابنين له في الحياة السياسية بالجزائر الأول والأكثر شأنا هو بن قانة محمد بالحاج المعروف بحمة والثاني بن قانة أحمد باي. وقد سمحت لنا المعلومات التي استقيناها من أفواه بعض الأشخاص الذين تربوا بالمنطقة من أمثال السيد حمى الناني تيتة من السكان القدماء لبسكرة والدكتورة وافية نفطي من الزيبان والمهتمة بتاريخ المنطقة من تأكيد ذلك.

2- بن قانة محمد بالحاج (حمة) وبن قانة أحمد باي قبل اندلاع الثورة التحريرية:

2-1- السيرة الذاتية للأخوين: بن قانة محمد بالحاج (حمة) هو الإبن الأكبر لبوعزيز بن امحمد من مصرالي عائشة، تدرج في الدراسة الى أن حصل على شهادة مهندس من معهد الزراعة بالجزائر. لم يرث حمة من والده الثروة فحسب، بل وأيضا المكانة المرموقة في الزيبان والصحراء وهي المكانة التي توارثتها أسرته جيلا بعد جيل كما سبق ذكره. وسيلته للإبقاء على ذلك سلاحان: التأثير العائلي من جهة ودعم القيادات الإدارية الإستعمارية من جهة أخرى. عرف عنه كونه قد كان باشاغا عن الزيبان وعرب الشراقة. بداية اقتحامه عالم السياسة كانت بعد الحرب العالمية الثانية التي أتمها برتبة ملازم أول احتياطي للخيالة، تحصل من الجينرال ديغول على وسام فرقة الشرف ورقي الى رتبة ضابط من طرف فانسون اوريول Vincent Auriol رئيس الجمهورية الفرنسية الرابعة عند حلول هذا الأخير بالجزائر. انتخب مستشارا عاما لبسكرة في 1945. كما عين نائبا لرئيس المجلس المالي للجزائر سنة 1947. وقد ظهر في قائمة مرشحي الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري للمجلس الوطني لكنه لم ينتخب. انتخب في 1948 ممثلا في المجلس الجزائري كمترشح حر في قائمة "الإستقلاليين الفيدراليين" لكنه بقي على حبه وولاءه للإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. قدم يد العون لهذا الأخير في انتخابات المجلس الجزائري ومجلس الجمهورية خلال سنوات 1948-1949 وقد خلف فرحات عباس الذي حل بالمرتبة الثانية على رأس القائمة في انتخابات مجلس الإتحاد الفرنسي سنة 1950 ليترك مكانه لأخيه سليم في المجلس الجزائري(Mourrui,C.1959 :06). بمجلس الإتحاد الفرنسي، انتخب عضوا بلجنة الشؤون الإجتماعية والعلاقات الخارجية لكنه لم يتدخل في أشغال هذه الأخيرة قط لأن طموحاته كانت أكبر من ذلك. مع إجراء انتخابات 27 جوان 1951 الخاصة بالمجلس الجزائري، ظهر حمة في المرتبة الثانية على قائمة الأحرار التقدميين المعارض للبيان هذه المرة خلفا لعبد القادر قاضي بالنسبة للغرفة الثانية للدائرة الإنتخابية لقسنطينة. وقد حصلت قائمته على الأغلبية الواسعة بـ 153 729 صوت من مجموع 167 632 من الأصوات المعبر عنها أي ما يعادل نسبة 91.7 % وقد تمت المصادقة على النتائج في 10 أوت 1951. ليستقيل بعدها من مجلس الإتحاد الفرنسي في 23 أوت 1951 ويباشر نشاطه كنائب عن قسنطينة في المجلس الجزائري(Documentation,F.2018). أعيد انتخابه مستشارا عاما في 07 أكتوبر 1951(R.I.C,1958 :01).

عن نشاطه بالمجلس الجزائري عرف عن بن قانة حمة أنه قد أظهر به شخصية الجمهوري الإجتماعي، عين عضوا بلجنة الأسرة والشعب والصحة العمومية في 17 جويلية 1951 وعضوا بلجنة التصويت العام على القرارات التنظيمية والعقابية في 17 جويلية 1951 وفي 20 جانفي 1953 وعضوا بلجنة الشؤون الإقتصادية في 28 أوت 1951 و20 جانفي 1953 و19 جانفي 1954 و 18 جانفي 1955(Documentation,F.2018).

عن نشاطاته الأخرى، صادق حمة على مشروع أندري ماري André Marie وزير التربية الوطنية آنذاك حول المنح والمنشئات المدرسية، وعلى اتفاقية الجماعة الأوروبية للفحم والصلب C.E.C.A ، وقد كان مناصرا لمشروع جماعة الدفاع الأوروبي C.E.D ولبيار ماندیس فرانس Pierre Mandes-France حتى يوم سقوط حكومته. بحل المجلس الجزائري في 1956، ابتعد حمة بن قانة قليلا عن السياسة(Documentation,F.2018) .

عن احمد هذه المرة، تدرج هو الآخر في التعليم وقد كان من بين طلبة ثانوية بيجو بالعاصمة. ساهم في القوم الصحراوي في الدرجة الثانية. على الصعيد السياسي، مثل أحمد باي عائلة بن قانة في الحياة البلدية لبسكرة. انتخب مستشارا بلديا عن بسكرة في قائمة واحدة مع الدكتور سعدان عن الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري سنة 1947 ثم لقب قايدا على الزيبان في 10 جانفي 1953 ليتولى بعدها قيادة الزاب الظهراوي(R.I.C,1958 :04). في العاصمة، حاول أن يشكل عديد الجمعيات الرياضية وما شابهها مثل النادي الرياضي المحلي JSA ، وجمعية مستقلة للمحاربين القدامى وجمعية للمنتخِبين المسلمين للغرفة الأولى. تخلى عن هذه المشاريع عندما أصبح قايدا على الزيبان(Mourrui,C.1959 :04).

2- 2- وضعيتهما المالية وعلاقاتهما قبل اندلاع الثورة التحريرية(R.I.C,1958 :02): حصل حمة سنة 1949 على ميراثه من ممتلكات والده وقد تمثل بالنسبة له في مُلك بمنطقة الأبيار مساحته 16 هكتارا ، غابات من النخيل ببسكرة، طولقة وتقرت (حوالي 4500 نخلة)، أسهما بمؤسسة حفر الآبار هيلستر فيبي Hulster Faibie، وفي مؤسسة معالجة التمور كازوت وأينو بو Casoute et Eynaud Bo بمرسيليا. على هذا الأساس، عرف عن حمة استخدامه لمنزله الفخم بمنطقة الأبيار لاستقبال العائلات العريقة عند مرورها بالعاصمة، كما اشتهر بخساراته في أمور التجارة خاصة تلك المتعلقة بتصدير الزرابي والتمور الى منطقة أوروبا الوسطى أين قدرت قيمة ديونه خلال سنة 1952 بـ 60 مليون فرنك فرنسي. لمواجهة هذه الظروف وظروف مماثلة، أساء حمة معاملة الجزائريين "الأهالي" بنهبهم والإجحاف في حقهم، وقد سجلت له السلطات الإستعمارية في هذا المجال سنة 1952 حجز 280 رأس غنم بالجنوب وفرض ضريبة قدرت بـ 5000 فرنك على القنطار الواحد من منتوج الحبوب، كما طالبهم بتقديم قيمة العشر من منتوجاتهم، كل هذا وأمور أخرى مماثلة لتغطية عجزه ولإسهام الجزائريين في نفقات مصاريفه إذ استغل مدخوله من أموال هؤلاء سنة 1950 مثلا والمقدر بمليون فرنك في إقامة حفل ضخم لختان أولاده وزواج أخواته البنات.

استولى حمة أيضا على أراضي فلاحية بالمخادمة وسيدي عقبة والصحيرة، وعلى مخزون مياه سد فم الغرزة الذي استعمله لسقي أراضيه، أضف الى كل هذا المساعدات التي كانت السلطات الإستعمارية تقدمها له على اعتبار أنه قد كان يردد دائما أنه المسؤول عن إيواء وإطعام كل سكان الجنوب حسب ما ذهبت له شهادات من تحدثنا معهم بخصوصه، وعلى اعتبار المكانة العائلية والشخصية التي كان يتمتع بها لديهم. وعلى هذا الأساس، حصل سنة 1952 مثلا على ما يقارب 1.700.000 فرنك من مجموع 15 مليون من القروض الفلاحية الحكومية الفرنسية، وعلى 22.300.000 فرنك من مجموع 36.000.000 فرنك منحت كقروض لملحقة بسكرة لوحدها.

لم يكن لحمة علاقات حسنة مع رؤساء الزاوية العثمانية بطولقة وقد كان على خلاف معهم، وعن ذلك يذكر بأنه قد حاول وضع أسس لزاوية أخرى منافسة للأولى بالمنطقة وقد حاول خلال سنة 1951 منع سكان المنطقة أن يقدموا مدخول "الزيارة" لهذه الأخيرة. غير أن هذه العلاقات سرعان ما تحسنت بعد ذلك خلال الثورة التحريرية.

اتسمت علاقاته بالودية مع عائلات مصرالي، بن حسين، بن سماية، بن جلول، بن سكاي، شكيكم وبن صيام. أما العائلات المنافسة له فعائلتي بن شنوف ولخذاري.

سار أحمد باي على درب أخيه حمة. سانده في معاداته للزاوية العثمانية وقائدها عثماني عبد الرحمان(Mourrui,C.1959 :04) ، وتخلى عن كل النشاطات مع الأحزاب السياسية الجزائرية وقد فرض نفسه على السكان مثلما فعل أخوه حمة(R.I.C,1958 :01).

3- موقفهما من اندلاع الثورة التحريرية وتطوراتها الى 1957:

باندلاع الثورة التحريرية، أبقى حمة وباي على علاقاتهما المميزة مع السلطات الفرنسية وعملا على استغلالها، أما جبهة وجيش التحرير الوطنيين فقد ساندهما خفية. وبمجرد انكشاف أمرهما أمام مصالح التحقيقات، اختفى الأخوان من منطقة بسكرة ولم ينتقلا لها البتة حسب ما جاء في الوثائق والشهادات.

3-1- موقف حمة بن قانة من الثورة التحريرية بالمجلس الجزائري 1954-1956:(Documentation,F.2018)

بداية من 1954، شهد لحمة بن قانة بالتدخل في عديد المناقشات البرلمانية خاصة تلك المتعلقة بهجومات 01 نوفمبر 1954 وتبعاتها، نفى في تدخله الخاص يوم 12 نوفمبر 1954 صفة "التمرد" أو "العصيان" التي من الممكن إطلاقها حسب رأيه على "الأعمال الإرهابية" التي وقعت ليلة 01 نوفمبر 1954 واعتبرها مجرد محاولة لتدويل المسألة الجزائرية. بعد أن أبدى تقديره للحاكم العام، طلب حمة من وزير الداخلية أن يسعى الى "إعادة النظام" بعيدا عن القمع وأن يسعى لكسب ثقة الشعب، وأوضح أن المشكل الجزائري لا يمكن حله إلا في إطار الأمة الفرنسية. وقد ختم بالقول بضرورة إصلاحات صناعية وزراعية لمواجهة البطالة والمجاعة التي يعانيها الشعب الجزائري. يبدو أن الفكرة التي سيطرت عليه خلال هذه الفترة أن الثورة الجزائرية ثورة قام بها "جياع" وأن حلها يكمن في ملء بطون هؤلاء.

في 03 فيفري 1955، وخلال تدخل جديد حول الوضعية بالجزائر، طالب حمة بربط الشعب بعمليات "التهدئة" التي تقوم بها فرنسا لأن هذا الأخير حسب رأيه عرضة لمضايقات وتهديدات "الخارجين عن القانون" والحصيلة الناتجة عن ذلك أنه – وفي ظل غياب السلطات الإستعمارية- سيرتمي لا محالة في أحضان هؤلاء، وقد ألح على ضرورة اتخاذ إجراءات اقتصادية واجتماعية موازية لذلك لعودة النظام. وبحلول 29 جويلية، شارك حمة في النقاش حول إقرار قانون حالة الطوارئ، وقد أوضح في معرض حديثه أن القلق الذي ينتاب منتخبيه ليس نابعا من تهديدات "الإرهاب" فحسب ولكن أيضا من الإجراءات الإنتقامية التي تقوم بها السلطات الإستعمارية والتي هم ضحاياها. ومن أجل الوصول الى الإنفراج المأمول، اقترح حمة تزويد الحكومة العامة بوسائل ذلك مع وضع حل للمشاكل الإقتصادية والإجتماعية العقيمة ، كما طالب بتطبيق دستور1947 خاصة ما تعلق بتدريس اللغة العربية لغة القرآن.

تدخله الأخير قبل حل المجلس الجزائري كان في 13 أكتوبر 1955، ركز فيه على نداء كتلة الـ 61 والذي كان من بين الممضيين عليه، والذي اعتبره نمو للوعي عند الشعب الجزائري، وقد طالب بالرد عليه بإعطاء الجزائريين "المسلمين" حقهم الكامل في تسيير شؤون الأمة الجزائرية في إطار المجموعة الفرنسية.

3-2- لقاءاتهما مع مجاهدي المنطقة وإسهاماتهما المالية لصالح الثورة التحريرية:

في منتصف أفريل 1956، اتصل شعبان علي شيخ عرش لعمور بن قانة حمة وبن قانة أحمد بواسطة سايب عيسى شيخ عرش الكباصة بمنطقة الزاب الظهراوي. في الغد كان الجميع على مائدة الغداء بمنزل توبة محمد السكرتير الخاص لحمة بن قانة، هناك

أخبر سايب عيسى الأخوين بأن الثورة تطلب 500.000 فرنك من حمة و 300.000 فرنك من أحمد وأن المجاهدين عازمون على إنشاء خلايا لهم بمنطقة طولقة تحت إمرة سي الحواس. قبل الأخوان دفع الأموال لكن السبب الذي جعلهما يقومان بذلك بقي خفيا، هل كان ذلك تحت وقع التهديد بالقتل إن لم يفعلا؟ أم لقناعتهما الشخصية بذلك؟. المهم، قدم حمة بعدها 200.000 فرنك أما أحمد 150.000 فرنك الى سايب عيسى وأعطيا موافقتهما على تشكيل الخلايا بمنطقة الزاب الظهراوي والمشاركة في ذلك (Touba,M.1958 :1).

بحلول نهاية أفريل 1956، عقد لقاء آخر بمنزل شيخ الكباصة عيسى حضره سي الحواس وبن قانة احمد وعثماني عبد الرحمان عن الزاوية العثمانية بطولقة وحمود مسعود وطبي الأزهري وفيه تم تعيين أعضاء الخلايا بالزاب الظهراوي وقرروا منح مهمة إدارتها لبن قانة أحمد باي. استمرت اللقاءات بعدها – سواء بحضور الأخوين معا أو بصورة منفردة- عند شعبان علي في جوان 1956 مع سي الحواس ثم بواحة شمال بوشقرون مع سي الحواس لتقييم نشاط خلايا الزيبان حسب ما ذهبت إليه الشهادات((Deltcheff,O.1958 :01(c)).

اللقاء مع سي الحواس بالزاوية العثمانية كان في نوفمبر 1956، هناك تم وضع برنامج للعمل المشترك بين بن قانة حمة وسي الحواس، في نفس الشهر، وبجبل عمور، انتقل حمة الى هناك أين بقي رفقة سي الحواس حوالي ثلاث ساعات يتبادلون أطراف الحديث وقد كان برفقته توبة محمد. من الأمور التي سجلت بهذا الإجتماع تزويد حمة للثوار بآلات راقنة باللغة العربية وقواميس عربية-فرنسية(K,L.1958 :01). ثم توالت بعدها لقاءات الأخوين مع قادة الثورة بالمنطقة من أمثال سي الحواس ومناني نورالدين وعلوي حفناوي، كما عقد لقاء آخر لهم مع سي الحواس بليشانة في ديسمبر 1956 عند توبة محمد((Deltcheff,O.1958 :01(c)) .

عن الإسهامات المالية، وبالإضافة للمبالغ المقدمة في بداية الثورة، قدم حمة مبلغ 500.000 فرنك وأحمد باي مبلغ 450.000 فرنك بشهادة كل من توبة محمد وعبد الرحمان عثماني. وضع المبلغان بالحساب البريدي الجاري لهذا الأخير ببسكرة الذي تولى مهمة جمع الأموال بخلية طولقة. وبعد مدة وجيزة ألحق المبلغان بمبلغ عشر منتوج التمور لكليهما هذه المرة الخاص بسنة 1956. هذه المشاركة اكتشفتها السلطات الإستعمارية الفرنسية بعد الإفادات بأن عادت لطلب كشف للحساب الجاري لعبد الرحمان عثماني لتلك المدة وقد تأكدت من ذلك. وقد كانت نتيجة الكشف وفق التالي(Rogez,A.1957 :01):

1957/04/02: 900.000 فرنك

1957/04/18: 1.100.000 فرنك.

1957/04/23: 2.000.000 فرنك

1957/04/27: 2.073.111 فرنك:

بالإضافة الى ذلك، سعى حمة للحصول على الأموال من قادة المناطق المجاورة مثلما فعل مع قائد منطقة توقرت بوليفة محمد عمران الذي قدم له مبلغا من المال يمثل ما جمعه بالمنطقة ((Deltcheff,O.1958 :01(c)).

عن التموين، ساهم الأخوان في شراء مؤونة ولباس لصالح الثوار من العاصمة تخص السلع الغير متوفرة ببسكرة من ذلك قطع القماش والأحذية الجلدية والأعلام الوطنية، وفي هذا الإطار وصلت عديد الطرود من الجزائر نحو بسكرة وطولقة وليشانة عبر حافلات شركة النقل البري ((Deltcheff,O.1958 :01(c)) Auto-traction.

3-3- المساهمة في تنفيذ قرارات الجبهة الخاصة بمقاطعة المؤسسات الفرنسية وتزويد الثورة بالسلاح((Deltcheff,O.1958 :01(c)):

في تطور الثورة الجزائرية أحداث كثيرة، ومن بينها مطالبة قادة الجبهة والجيش من الشعب بمقاطعة المؤسسات الإستعمارية. في هذا الإطار، طلب سي الحواس من موظفي الإدارة الفرنسية من الجزائريين بمنطقته الإستقالة من مناصبهم وقد كان ذلك يتم بتسليم رسائل يدا بيد أو بإرسالها عبر البريد. لتنفيذ أوامر الجبهة والجيش على ما يبدو، اتصل حمة بعدد من أعضاء الجماعات في كل من المغير، جامعة وتوقرت ملحا على ضرورة تنفيذ أوامر الثورة. هذا وقد حفظت له الإفادات تمكنه من إقناع ممثل جماعة توقرت بادة ترزي بذلك في فيفري 1956 والذي استقال رفقة كل أعضاء جماعته خلال الفترة من 13 الى 18 فيفري 1956. وهي المعلومة التي لم ينفها بادة ترزي، عبد الرحمان عثماني وأربع أعضاء من الجماعة المستقيلة. والملاحظ هنا أن نشاط حمة الى جانب الثورة قد بدأ حتى قبل اتصاله بسي الحواس.

نفس الشيء فعله أحمد باي في أفريل 1956 مع حزّكة طولقة، وفي ديسمبر 1956 مع شيوخ قيادة طولقة إذ جمعهم بمنزله وأمرهم بالإستقالة من مناصبهم وهو ما نفذوه. وقد ساهم في تنفيذ حكم الإعدام في حق الإداري بريش Prruche والمحقق بوني Bonnet. قبل هذا كان أحمد باي قد عين من طرف سي الحواس مسؤولا على التنظيم السياسي والإداري للثورة بمنطقة طولقة (القسمة23) وقد استطاع أين ينصب اللجنتين الأولتين لطولقة خلال سنوات 1955-1956 و 1956-1957.

عن تزويد الثورة بالمنطقة بأسلحة حربية، جاء في الإعترافات قيام حمة بذلك وقد كان من بينها بندقية رشاشة حسب شهادة بادة مصطفى وما جاء في وثائق عثر عليها على جثة الشهيد المفوض السياسي بن مالك مكي لحسن. أما عن أحمد باي، ففي بداية 1955، وفي الفترة التي كانت تتم فيها عمليات جمع السلاح وتسليمه للسلطات الإستعمارية، استغل أحمد باي مهامه كقايد لطولقة والزيبان وقام بتسليم جزء من هذا السلاح أي حوالي 300 ستاتي Statti لعرش لعمور وحده حسب تصريحات عبد الرحمان عثماني وضاوي أحمد شيخ فوغالة المقرب منه. وقد قام أيضا حسب تصريح معاوي السعيد بتجنيد شباب من عرش لعمور لصالح الثورة.

3-4- إيواء أشخاص مطلوبين من طرف السلطات الإستعمارية الفرنسية:

لقد استطاع حمة بن قانة خلال هذه الفترة أيضا أن يأوي بمنزله بالأبيار(فيلا الرايس بالأبيار أو فيلا شارع بوسيجور بالعاصمة) أشخاصا مطلوبين من قبل العدالة والشرطة الفرنسيتين وهو حال ظاهوي محمد رقيب أول بجيش التحرير الوطني، وإبن المدعو الهاشمي حليمي من بسكرة، عطية محمد من طولقة، وشيخ فوغالة وكذا علي لابوانت مثلا. وقد شهد له بخصوص هذا الأخير كل من ياسف سعدي المسؤول السياسي العسكري على المنطقة المستقلة للعاصمة وبن حميدة عبد الرحمن الملقب سليم المحافظ السياسي لنفس المنطقة((Deltcheff,O.1958 :05(c))، وهي معلومات رغم أننا عثرنا عليها بمحاضر استنطاق هاتين الشخصيتين بعد معركة الجزائر بأرشيف أكس إلا أننا فوجئنا بوجود المحاضر نفسها منشورة على صفحات بالأنترنت .A,W) (2016.

لقد جاء على لسان ياسف سعدي في 05 أكتوبر 1957: "لقد نصب يوسف بن خدة لجنة مالية في 1956 مهمتها جمع الأموال من أكبر التجار والشخصيات الذين لا يستطيع المكلفين بالتمويل المحليين الوصول إليهم...لقد شاركنا في ذلك عديد الأشخاص منهم كل من...بن قانة... ولقد منحت هذه الأموال لبن خدة أو الى ممولين احتفظوا بها للتنظيم"((Prione,M.1957 :04(b)). وقد جاء على لسانه أيضا في 03 أكتوبر 1957:" لقد كانت آخر عملية نفذها علي

لابوانت هي تلك الخاصة بالأبيار، بعدها ...كان علي لابوانت متواجدا بالأبيار بمنزل بن قانة، ومن هناك اتصل بكل من علي خوجة بواسطة صديق تامزالي. لقد حضر الإثنان الى منزل بن قانة ومن هناك انتقلوا به الى القصبة، اقتيدت سيارة تامزالي الأولى ووراءها مباشرة كانت السيارة التي نقلت علي لابوانت رفقة علي خوجة" ((Prione,M.1957 :04(b).

في 27 أوت 1957، تمكن الفوج الثالث لمظليي المداهمات 3ème RPC من الحصول على وثيقة تعود الى تاريخ 19 جوان 1957 كتبت من طرف بن حميدة عبد الرحمن الملقب بسليم باسم قائد منطقة الجزائر ومرسلة الى مجلس ولاية الشمال القسنطيني الى الكولونيل بن طوبال. وقد استطاعت السلطات الفرنسية أن تقرأ بها: "إخوتي، لقد علمنا بأن إخوتنا في باتنة قد حكموا على بن قانة حمة لأنه قد شارك في اللجنة الإدارية. نرجو منكم أن تحذروا الإخوة في الولاية الأولى من أن ينفذوا حكم الإعدام في حقه. هذه الشخصية قدمت الكثير للقضية المشتركة خاصة لأخينا بن لمهيدي وأخونا سي صالح (الإسم المستعار لبن خدة) عضو لجنة التنسيق والتنفيذ على علم بذلك. اعفوا عنه في ولايتكم أما نحن فقد أخبرنا كل المنتمين الى هذه اللجان بالإستقالة" ((Deltcheff,O.1958 :05(c). لقد كتب سليم هذه الرسالة بعد المعلومات الكتابية التي زوده بها عبد المجيد (عمار أوزقان) الذي كان مسؤول الإتحاد العام للتجار الجزائريين والإتحاد العام للعمال الجزائريين ويعمل بالعاصمة الى جانب لجنة التنسيق والتنفيذ((Deltcheff,O.1958 :05(c).

عن نشاط حمة بن قانة خلال الثورة التحريرية كتب محمد لبجاوي في كتابه "حقائق حول الثورة الجزائرية" يقول: " لقد أدمج حمة بن قانة منذ مدة ضمن مناصري جبهة التحرير الوطني...أما منزله فقد تحول حقيقة الى مخبأ لنا لأنه كان بعيدا عن الشبهات بأشجاره الباسقة والكثيفة التي تبعده عن الأنظار وبمكانته كونه لسلالة من الباشاغات، آوينا به جرحانا وعقدنا به اجتماعاتنا السرية وخبأنا به أسلحتنا. لقد وجد بن مهيدي شخصيا مخبأ عند عائلة بن قانة" (T.S.A.2018)

4- رد فعل السلطات الإستعمارية على النشاط بناءا على المعلومات المقدمة(Perrin,C.1958) :

بمجرد المعلومات التي وصلت السلطات الإستعمارية الفرنسية، فتح محضر تحقيق في حق الأخوين من طرف محكمة باتنة، وفي تقريرها لوكيل الجمهورية في 29 جانفي 1958، صدر في حقهما الأمر بالتوقيف الأول في حق محمد في 25 مارس 1958 من طرف قاضي تحقيق باتنة والثاني ضد أحمد في 22 أفريل 1958 وقد تركوا رهن الحرية المؤقتة. في هذه الفترة تمت عملية اختطاف نفذها جيش التحرير الوطني في حق ثلاث شهود ممن اتهموا الإخوة بن قانة.

في 21 جويلية 1958 أحيل الملف من قاضي التحقيق بباتنة السيد شاربونيي Charbonnier الى مفتش الحكومة بقرب المحكمة الدائمة للقوات العسكرية لقسنطينة. بعد دراسة الملفات، أرسل تقريرا الى الجنرال ديلاك Dulac قال فيه أن الملف – وبعد وفاة وقتل أغلب شهوده- لم يعد ذا فائدة ترجى وهنا اقترح مفتش الحكومة حلين: إما مواصلة التحقيقات بطريقة جادة وهو ما يعني احتجاز الأخوين بن قانة من طرف قاضي التحقيق العسكري أو جعلها في طي النسيان.

في 17 أكتوبر 1958، بعث مفتش الحكومة بقرب المحكمة الدائمة للقوات العسكرية لقسنطينة رسالة للقائد العام للقوات المسلحة بقسنطينة يطلب منه اتخاذ قرار بشأن ذلك. فكان قراره بأنه لا داعي بالنسبة للعدالة العسكرية أن تولى أهمية لهذه القضية السبب اختفاء الوثائق رقم 2865-2867-3375-3376-3377 من الملفات وهي تلك الخاصة باستجواب ياسف سعدي وكذا محضر استنطاق بن حميدة عبد الرحمان الملقب بسليم. القرار الأخير كان من وزارة العدل بباريس بالكف عن البحث في القضية لأن هؤلاء سيرقون الى مراتب عليا. أبلغ القرار الى وكيل الجمهورية بقسنطينة والذي أبلغه بدوره لقاضي التحقيق بقسنطينة.

عين حمة عضوا باللجنة العليا للمنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية في 15 جوان 1958 ورئيسا للمجلس الإقليمي للواحات.

5- نشاطهما خلال سنتي 1958 و1959 ((Deltcheff,O.1959 :01(c)):

رغم حل جميع خلايا القسمة 23 خلال شهر ديسمبر 1957، ورغم فرار الشخصيتين الى العاصمة بعد ذلك وعدم انتقالهما البتة الى بسكرة، فقد قدم بن قانة حمة للثورة مبلغ 91.800 فرنك كدفعة أولى ثم 550.000 فرنك كدفعة ثانية في الثلاثي الأول لسنة 1958 عثر عليها مقيدة في كراسة لجمع التبرعات احتجزت في 26 ماي 1959 تعود للجنة أولاد بوزيان. وقد جاء فيها أيضا تقديم بن قانة أحمد باي لمبلغ 550.000 فرنك وبن قانة ناصر الدين لمبلغ 545.000 فرنك، بن قانة بولخراص لمبلغ 722.000 فرنك وبنات بن قانة لمبلغ 20.000 فرنك. أما الوثائق التي احتجزت بعد صدام عسكري مع قوات جيش التحرير بجبل بوزهرة في 5 أوت 1959 فقد أفادت بتقديم أحمد وحمة لمبلغ مليوني فرنك عن كل واحد في 1 مارس 1959 و1.500.000 فرنك عن بن قانة عز الدين خلال نفس التاريخ.

خاتمة:

لا يختلف إثنان في أن الكتابة التاريخية وثيقة الصلة بالأرشيف على نحو يجعلها تغدو مستحيلة في ظل غيابه أو انعدامه، على شرط التعامل النقدي مع الوثائق الأرشيفية نظرا لما يتطلبه التعاطي معها من وجوب توافر الرؤية العلمية الثاقبة، والحس التاريخي الكبير، فضلا عن الخلفية التاريخية.

إنطلاقا من هذه المعطيات، ومن اهتمامنا بتاريخ منطقة الزيبان خاصة إبان الثورة التحريرية، ومن استطاعتنا الإطلاع على جزء لا بأس به من الوثائق الأرشيفية المتاحة بمركز أكس أون بروفانس بفرنسا حول تاريخ المنطقة وبعض الشهادات التي استعطنا جمعها كان هذا المقال الذي حاول الإجابة عن اشكالية مدى مساهمة بعض أفراد أسرة بن قانة في الثورة التحريرية.

من خلال ما توفر لنا من معلومات من المصدرين الجزائري والفرنسي توصلنا الى نتيجة مفادها: لسنا ندري ما هي الأسباب التي جعلت هاتين الشخصيتين تقدمان هذه الخدمات للثورة، لأن المرجح هو أنها قد قدمت فعلا، كما أن الواقع يقول بأنهما –الى جانب ذلك- استمرا في تقديم خدماتهما للسلطات الإستعمارية. قد تظهر وثائق أخرى تنفي أو تؤكد ذلك غير أن الشبه مؤكد الى حد الساعة هو ما ورد في حيثيات هذا المقال.

المصادر والمراجع:

- هواري، مختار.(2009) سياسة الإدارة الإستعمارية الفرنسية تجاه بعض العائلات المتنفذة في الجنوب القسنطيني 1837-1870، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر بباتنة، الجزائر.

- شهادة الأستاذة وافية نفطي أستاذة محاضرة أ بجامعة بسكرة قسم التاريخ من سكان منطقة الزيبان ومن المهتمين بتاريخ المنطقة في 25 جويلية 2018.

– شهادة السيد كمال تيتة المعروف بحمى الناني تيتة، من الشخصيات القديمة التي عاشت ببسكرة وتعرفت على الشخصيتين بعد لقاء أجري معه يوم 21 جويلية 2018.

- A.W. " Procès-verbal d'audition " de Yacef Saadi. Algéria-Watch.Information sur la situation des droits humains en Algérie. Publié avril 12, 2016. Mis à jour 07 juin 2018. (http://algéria-watch.org/?p=54441)

- Déclaration de Touba Mohamed (1958. 16/1). Centre des archives d'outre-mer. Boite 81 F/789.

-Extraits du rapport d'intérrogatoire de K. L.(1958:1/1). Centre des archives d'outre-mer. Boite 81 F/789.

- La documentation française,(2018: 26juillet). Mohamed Bengana1914 – 1996, Biographie extraite du dictionnaire des parlementaires français de 1940 à 1958 (http://www2.assemblee nationale.fr/sycomore/fiche/(num_dept)/622).

-Le capitaine Deltchef,O. Officier de renseignements du quartier de Tolga. (1959: 9/9.(a)). Note très secrète sur l'information ouverte contre les frères Bengana Mohamed Belhadj et Bengana Ahmed Bey.Centre des archives d'outre-mer. Boite 81 F/789.

- Le capitaine Deltcheff,O. Officier de renseignements du quartier de Tolga. (1959:09 /09.(b)).Additifs au rapport concernant les charges existant au 27/01/1958 contre les frères Bengana Mohamed Belhadj et Bengana Ahmed Bey. Centre des archives d'outre-mer. Boite 81 F/789.

-Le capitaine Deltcheff,O.Officier de renseignements du quartier de Tolga.(1958:27/01.(c)).Rapport concernant les charges existant actuellement contre les frères Bengana. Centre des archives d'outre-mer. Boite 81 F/789.

- Le chef de bataillon Mourrui .C. Commandant le groupe compagnie n 02 de Tolga. (1959:13/9). Bulletin de renseignements Concerne les frères Bengana Mohamed dit »Hamma » et Bengana Ahmed Bey. Centre des archives d'outre-mer. Boite 81 F/789.

-Le Chef de bataillon Rogez.A. à prg Alger .(1957:25/04). Demande de vérification de ccp du nommé Othmani Abderrahmane. Centre des archives d'outre-mer. Boite 81 F/789.

-Le Chef de Bataillon Perrin,C.10 RM.Corps d'armée de Constantine : Secteur de Biskra. Rapport concernant un aspect de la lutte contre l'OPA dans les palmeries des Zibans Nord (1958: 28/02) .Centre des archives d'outre-mer. Boite 81 F/789.

-Le Commissaire de police Prione Marc.(1958:21/10(a)). A/S de la Famille Bengana de Biskra.Centre des archives d'outre-mer. Boite 81 F/789.

- Le Commissaire de police Prione Marc. (1957: 18/12 (b)).Proces-Verbal,Police judiciaire d'Alger. Centre des archives d'outre-mer. Boite 81 F/789.

-R.I.C, 11/24 .Quartier de Tolga. (Octobre 1958). Etude sur la famille Bengana. Centre des archives d'outre-mer. Boite 81 F/789.
-Le petit fils du coupeur d'oreilles en patriote !(2018).(https://www.tsa-algerie.com/camus-bengana-ben-bella-boumediene-et-les-autres/)